وقد يكون المقصود بتنوع الدلالة هو توجُّهها إلى معان مختلفة، يستدل عليها في كل موضع بالسياق فإذا جمعت الأسيقة المختلفة عند التفسير فُهمت جميع وجوه اللفظ ودلالاته المتنوعة في القرآن، وهو عمل من جمع علم الوجوه والنظائر.

والسياق «من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم» والقرينة في علوم العربية هي المسوغ الوحيد الذي يسوغ أن يفهم اللفظ على غير ظاهر معناه، وكانت من أهم أدوات البلاغيين في فهم اللغة، ودون هذه القرينة اللغوية لا يمكن للمفسر أن يبلغ فهمًا صحيحًا لمعاني القرآن أو نصوص اللغة بعامة، وقد يحدث السياق تغييراً كليا في دلالة الألفاظ.

وقد توجهت رؤية الدلالة عند علمائنا، نحو «مراد المتكلم» أي جعلت عنايتها بقصد المرسل لا المتلقي، وهذا من أثر التوجه العام للفكر الإسلامي وطبيعة أهدافه البعيدة، وهي فهم مراد الشارع، وفهم الأحكام التي تنظم حياة المسلمين، وفهم الإرشادات التي أنزل بها القرآن ﴿هدًى للناس وبينات من الهدى والفرقان﴾[1] وقد نسب هذا الهدى إلى الله بضمير المتكلم ﴿فمن تبع هدايَ فلا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون﴾[2] فمن الطبيعي بعد ذلك أن يكون الأولى بالعناية في درس الدلالة عند المسلمين هو «مراد المتكلم» باعتباره الهدف الأصلي لهذا العلم.

وهذا الاتجاه في فهم الدلالة اللغوية، ليس غريبًا على الفكر اللغوي الحديث فـ«القصد»، وهو من المعالم الخصبة في التفكير الفينومينولوجي، له نسبٌ عريق في الفلسفة الإسلامية، قال به ابن سينا، ومنه انتقل إلى الفلسفة الحديثة عن برنتانو وهسرل وشيلر [3].

وقد اشترطه ابن سينا حيث ذهب إلى أن اللفظ «لا يدل بنفسه بل بإرادة اللافظ، حتى لو خلا عنها لم يكن دالاً» [4].

فتصور العالم عند الظاهراتيين ينبع من «الوعي» [5] الذي يعد القصد من أخصّ خصائصه وأولى سماته» [6].

---

(١) البقرة: ١٨٥. (٢) البقرة: ٣٨.

(٣) من رواد الفكر الفينومينولوجي، انظر مادة Phenomenology في:

Encyclopedia of Contemporary Literary Theory, Irena R. Makaryk, University of Toronto Buffalo London, Canada, 1995.

(٤) لطفي عبد البديع، التركيب اللغوي للأدب، ص٨٦، ط دار المريخ، الرياض ١٩٨٩م.

(٥). Consciousness (٦) التركيب اللغوي، ص٦.